المحاضرة الثانية: الفكر الاجتماعي في اوروبا (في القرون الوسطى وفي عصر النهضة)

المحور الأول: الفكر الاجتماعي في أوروبا في القرون الوسطى

01-الفكر الاجتماعي المسيحي: كان ظهور الديانة المسيحية من أهم التطورات التي شهدتها الامبراطورية الرومانية، وكانت المسيحية في بدايتها نظاما دينيا جديدا يشبه إلى حد كبير النظم اليهودية التي قام كثير منها في انحاء الامبراطورية الرومانية، ولم يكن للديانة الجديدة في زمن المسيح وفي مرحلتها الأولى أهمية خاصة، فقد خلقت المسيحية في بداية ظهورها لنفسها جوا خاصا أبعدها عن الأنظار.

وقد انتشرت المسيحية، واتجهت في انتشارها نحو االغرب ولم تتجه نحو الشرق، ففي الشرق وجدت من العوائق ما لم تتمكن من التغلب عليه، بينما كان يصاحب الصعوبات الشديدة التي واجهتها في الغرب بعض العوامل التي ساعدت على التغلب عليها والتي من بينها: السلام الذي كان يسود تلك الأرجاء ووحدة اللغة والأفكار، وسهولة الاتصال.

وعندما انتقلت المسيحية إلى الغرب واتخذت من روما مركزا لها في أوروبا، كانت الامبراطورية الرومانية في أوج قوتها وعظمتها، ولم تهدم المسيحية الحضارة الرومانية، كما أن الحضارة الرومانية لم تفسد الديانة الجديدة، وفي نفس الوقت لم يفسح نظام الحكم الروماني الطريق أمام النظام الاجتماعي الجديد الذي نادت به المسيحية، كما انه لم يضعف أمام ضغط المبادئ والنظم السياسية والاجتماعية التي نادت بها، فاتجه المسيحيون إلى ممارسة الدين الجديد في الخفاء.

وقد اجتذبت المسيحية وهي الديانة التي نادت بالمساواة بين أفراد البشر، وأكدت أنهم متساوون في نظر الخالق، واعترفت بأهمية الفرد في المجتمع، واجتذبت في بداية ظهورها الطبقات الدنيا في المجتمع الروماني، وقد انحصر انتشارها بين هذه الطبقات عندما كانت الامبراطورية الرومانية في قوتها، وفي هذه المرحلة تعرض المؤمنون بتعاليم المسيح لاضطهاد الرومان الذين لم يعترفوا بالدين الجديد، ولذلك نادى المسيحيون بضرورة إعطاء كل إنسان الحق في حرية الاعتقاد، وان الاعتقاد الديني يجب أن يكون بمحض اختيار الشخص دون إكراه أو ضغط عليه. ولكن عندما اعترف الامبراطور 'قسطنطين' (274-337م) بالمسيحية كدين رسمي للامبراطورية، في القرن الرابع الميلادي، بعد انتشارها بين سائر طبقات المجتمع الروماني، تنامت هذه العقيدة وسادت غيرها من العقائد، وأصبحت الدين الوحيد المسموح به في الامبراطورية الرومانية، وتخلت المسيحية عندئذ عن دعوتها بشأن حرية الاعتقاد.وصارت تعتمد على تأييد الدولة ومساندتها لها.

يمكننا القول أن المسيحيين الأوائل لم يظهروا اهتماما واضحا ب (التنظير) للمسائل الاجتماعية وإنما ركزوا جل اهتماماتهم على الأمور الدينية البحتة، فالدافع إلى قيام المسيحية دافع ديني، والمسيحية مبدأ يستهدف تحقيق الخلاص، فهي ليست فلسفية أو نظرية اجتماعية، فأفكار المسيحيين على الصعيد الاجتماعي لم تكن في واقع الأمر مغايرة لأفكار الوثنيين.

كان الجديد الذي استحدثه النظام المسيحي يتمثل فيما افترضه من وجود (طبيعة مزدوجة) للانسان، وكذلك وجود (رقابة مزدوجة) تشرف على حياة البشر وتتلاءم مع هذا الازدواج في الطبيعة والمصير، فالتفرقة بين عالم الارواح وعالم الوجود المادي الدنيوي، او عالم البقاء وعالم الفناء، تعد جوهر النظرة المسيحية وقوامها.

02-أزمة الفكر الأوروبي في العصور الوسطى

تعددت الآراء والنظريات حول بداية العصور الوسطى ونهايتها، لكن اغلب المؤرخين يرون أن سنة 476م هي أصلح وأنسب بداية لتاريخ القرون الوسطى الأوروبية، لان هذه السنة تعتبر آخر عهد بالإمبراطورية الرومانية القديمة في الغرب، واختلف المؤرخون حول تحديد نهاية العصور الوسطى، فرأى البعض أن حركات الإصلاح الديني في أوروبا بدأت في القرن الرابع عشر تمثل نهاية العصور الوسطى وبداية عصر النهضة، ويرى فريق آخر من المؤرخين أن سنة 1453م هي التي تحدد نهاية العصور الوسطى وبداية عصر النهضة، ففي تلك السنة انتهت حرب المائة عام بين انجلترا وفرنسا (1338-1453)، هذا إلى جانب أن القسطنطينية انتقلت إلى يد العثمانيين في تلك السنة، ومهما كان اختلاف المؤرخين حول السنة التي تبدأ منها العصور الوسطى، وتلك التي تنتهي عندها، إلا انه من الناحية الشكلية التقليدية تبدأ في القرن الخامس وتنتهي في القرن الخامس عشر الميلادي.

تهيأ للكنيسة في العصور الوسطى سلطان واسع النطاق، روحيا بحكم وظيفتها، وسياسيا بسبب ضعف الملوك والأباطرة، فقد أدى ضعف أباطرة الرومان ثم انهيار الإمبراطورية الرومانية في الغرب سنة 476م إلى ازدياد سلطة الكنيسة وارتفاع شأن البابا في أوروبا، لذلك سيطرت الكنيسة على التعليم والمدارس، واحتكرت لنفسها تأويل الكتاب المقدس وأدانت كل من جاهر بحقيقة لم تقرها من قبل، ومن لم يذعن لها تحيق به اللعنة، وساعدها على ذلك أن الملوك والأباطرة سلموا بسياستها في اضطهاد المخالفين، وقد بسطت الكنيسة نفوذها وفرضت سيطرتها أيضا على الجامعات الأوروبية، وحولتها إلى معاقل للاستبداد وأوكار للرجعية، حيث أدركت أن في خروج هذه الحركة التعليمية من قبضتها تعريضا لسلطانها وتعاليمها للخطر والنقد، وكمثال على ذلك فانه في باريس ظهر هذا التدخل في التوحيد بين وظيفتي رئيس الجامعة ورئيس أساقفة باريس، بمعنى أن هذا الأخير أصبح مشرفا على شؤون الجامعة.

كان من المنتظر أن تنتصر الجامعات الأوروبية لحرية الفكر خاصة أن الذي مهد لنشأتها "بطرس أبيلارد" سنة 1142م صاحب الدعوة إلى تحرير العقل الأوروبي، لكن الكنيسة كانت تحتكر العلم وتهيمن على شؤونه، فسارت الجامعات في ركابها، وأخذت تتلقى الأوامر والتعليمات من رجالها وتلقن طلابها ما يبيحه هؤلاء، وتحبس عنهم ما يحرمونه، فأصبح أساتذة هذه الجامعات لا يعنون بالحقيقة بقدر ما يعنون بالاستجابة لطاعة الكنيسة واعتناق ما تقره من آراء.

هيمنت الكنيسة على كل ميادين البحث العلمي، وفرضت عليها ما تراه حقا، وعملت على فرض آرائها بالقوة مستندة في ذلك على سلطانها الديني والدنيوي، فكانت تفسيرات الكنيسة لنصوص العهد القديم وخاصة فيما يتعلق بقصة الخلق أدت إلى استبعاد علم طبقات الأرض وعلم الحيوان، وعلم الانتربولوجيا، من ميادين البحث الحر، وأصبحت الحقيقة في نظرهم هي التي تكون في ظاهر نصوص الانجيل، كما أن تأويلها الحرفي كفيل بمعرفة الناس الوجه الصحيح فيما يبحثون. وقد أدى هذا إلى القول بآراء علمية غير صحيحة، مثل القول بدوران الشمس حول الأرض، ورفض الاعتقاد بأن الجانب المواجه لموطننا من الأرض معمور بالخلائق، والاعتقاد بأن أمراض المسيحيين مردها إلى الشياطين، ومادامت أسباب الأمراض فوق طبيعته فعلاجها من جنسها، أي فوق الطبيعي، إضافة إلى أن الكيمياء اعتبرت فنا شيطانيا خبيثا، وقد أدان البابا المشتغلين بها عام 1317م.

نصب رجال الدين أنفسهم لمعرفة الحقيقة في كل أمور الدين والدنيا، واعتبروا أن أي مصدر آخر غيرهم وغير ما تحت أيديهم من كتب مقدسة في نظرهم لا يعتد به، بل وعاقبوا كل من تسول له نفسه الخروج عليهم. فوقفت الكنيسة بالمرصاد لكل مخالف لها، ولكل صاحب رأي مغاير لرأي ابائها ورجالها الذين أعطتهم وحدهم سلطان التأويل والتفسير، فأقامت محاكم التفتيش التي استخدمت كل أساليب القهر والتعذيب، والتي تكشف عن وحشية لم يعرف لها مثيل، فاعتبرت من أشنع الوصمات في تاريخ البشرية. وقد تولت هذه المحاكم مطاردة المارقين وتعذيبهم إلى حد إحراقهم وهو أحياء.

كان الأوروبيون يثورون ويظهرون التمرد بين الحين والآخر، لكن الكنيسة كانت لهم بالمرصاد وبأساليب القمع والقهر، مما يبين أن الكنيسة أحكمت سيطرتها وفرضت رقابتها على كل منافذ الإشعاع للتقدم والمعرفة، وأعاقت كل فكر وأوقفت كل تقدم، وأوصدت الأبواب التي من شأنها أن تزيد المعرفة وتساعد على الرقي والحضارة. لذلك كانت أوروبا في تلك العصور في ظلام دامس وجهل سائد، وكان الفكر خاملا والبحث العلمي راكدا، وذلك بفعل التعصب المقيت، وبسبب تلك العقبات التي وضعتها الكنيسة في وجه العلم والعلماء.

سبب تعصب الكنيسة : يمكن تفسير هذا الموقف من الكنيسة ، أن تكوين المسيحية من أديان وفلسفات وثنية مختلفة كان سببا في تعقيدها وتناقضها، لذلك كانت تخشى من مناقشة عقائدها أو التفكير فيها، حيث حرفت الديانة التي جاء بها عيسى عليه السلام وذلك بعد رفعه، واستبدلت بها عقائد وطقوس ومبادئ وتقاليد تعود إلى عصر أقدم. حيث وقعت في حبائل التأثر بالعقائد الشرقية المختلفة، فامنوا بعقائد معقدة لا تقبل الفهم، كونها مؤلفة من أديان وفلسفات مختلفة، وفرضوا على الناس الإيمان بها دون نظر أو تفكير فيها، وأقروا ما سمي بالاعتقاد الحتمي، الذي لا يقبل أي جدل ولا مناقشة. فلم يكن رجال الدين المسيحي يملكون الاستعداد للدخول في تفاصيل أمور لاهوتية لأنهم يعتبرون أن محاولة تفصيلها وشرحها يزيدها تعقيدا.

يبدو أن الايمان بما يناقض العقل هو سبب التعصب ضد المخالفين، لذلك علموا الناس انه "يجب أن تعتقد أولا بما يعرض على قلبك بدون نظر"، ووقر في نفوسهم أن السلامة في ترك الفكر والأخذ بالتسليم.

03-محاولات تحرر العقل الأوروبي من القيود

بدأ العقل الأوروبي يفيق من سباته ويصحو من غفلته ليقاوم تلك السلطة الكنسية، ويحاول خرق القيود التي فرضتها، محاولا الصمود أمام الأساليب الوحشية، فعمل العقل الأوروبي على إحداث تغيير جذري لما هو سائد في عصور الظلام والاستبداد، لكن هذا التغيير لم يتم دفعة واحدة وإنما سار عبر مراحل متعددة، وظهر في صور مختلفة، **فمرة تنقد الكنيسة** ومن خلاله تظهر المساوئ والعيوب ، ويبرز فساد رجال الدين وانحطاط المستوى الأخلاقي لدى القائمين على الكنيسة من رجال الاكليروس، مما يترتب عليه عدم الاقتناع بريادة رجال الكنيسة وكونهم أصحاب المقام الأول في التوجيه والقيادة والفكر، **ومرة أخرى يعظم فيها شأن العلم** ، وتنشأ الجمعيات العلمية التي تتبنى وجهات النظر العلمية، وتشجع البحث العلمي القائم على المناهج العلمية بعيدا عن أعين وفكر رجال الدين المسيحي.

وبالتالي يمكن القول أن التغيير سار في اتجاهين متوازيين في بعض الأحيان وبعض البلدان الأوروبية ومتعاقبين في أحيان وبلدان أخرى، والاتجاهين هما:

-الاتجاه الأول: نقد الكنيسة ومحاولة إصلاحها، حيث ساهمت شجاعة وجرأة بعض المفكرين في توجيه النقد للبابوية أو رجال الدين المسيحي بوجه عام، وتكمن أسباب النقد في:

- تدهور المستويات الأخلاقية، وتفشي حالات الفساد والانحطاط بين رجال الدين المسيحي في العصور الوسطى، وقد وصلت إلى أحط دركات الانحطاط خاصة في القرنين ال10 وال11م .

-استغلال رجال الدين لنفوذهم بفرض الضرائب على رعايا الكنيسة وجمعهم الأموال بطرق غير شرعية.

-طبيعة المعتقدات المسيحية ومخالفتها أو مناقضتها للعقل البشري.

-كان رجال الكنيسة يضيقون ذرعا بأي رأي مخالف لهم ، وكذا مقتهم العلماء.

-الاتجاه الثاني: وهو خاص بالعلم، وقد مهد أصحاب الاتجاه الأول لأصحاب هذا الاتجاه أن يثوروا على ما تتبناه الكنيسة من مسائل علمية تتعارض مع ما وصل إليه العلماء، مما يعني أن الدين المسيحي وما يحتويه من عقائد معينة هو سبب من أسباب النقد والخروج على الكنيسة وربما على الدين أيضا.

المحور الثاني: حركة الإصلاح الديني البروتستانتي

تطورت العقلية الأوروبية تطورا دنيويا، وغدا المجتمع الأوروبي الذي كان خانعا للكنيسة ينقسم الى قسمين، قسم ابتعد عن الكنيسة نحو حياة رحيبة فسيحة الآفاق متحررة من كل قيد، وقسم آخر عني بأحوال الكنيسة ووقف على فساد الأسس التي تطورت إليها أنظمة الكنيسة، ولذلك كان يرى انه لابد من إصلاحها. وقد هب جماعة من المسيحيين للخروج على الكنيسة الكاثوليكية والتنديد بعيوبها والتشهير بمفاسدها، واعتبرت هذه الحركة الإصلاحية بمثابة الثورة على السلطة البابوية وسلطة رجال الدين المسيحي عموما.

يبدو أن حركات النقد الموجهة ضد الكنيسة قد نشطت بشكل متزايد في أواخر العصور الوسطى، مما كان له أثره في تهيئة الجو العام لقيام حركة الإصلاح، فقد كان لهذا الاتجاه النقدي أن فقدت الكنيسة مكانتها واهتز الأساس الروحي والأخلاقي الذي أقامت عليه نفوذها في العصور الوسطى، وبات المسيحيون في دول غربي أوروبا يتحدثون عن ضرورة إصلاح الكنيسة والقضاء على الانحرافات الخطيرة التي ظهرت بين رجالها.

منذ القرن الرابع عشر والأصوات تعلو لإصلاح الكنيسة، فقد ظهر منذ ذلك الوقت عدد من المفكرين المسيحيين الذين نادوا بالإصلاح، منهم على سبيل المثال نذكر الانجليزي (حنا ويكليف 1328-1384)، و التشيكي من بوهيما (حنا هس 1373-1415)، تحديا البابوية في أمور تتعلق باللاهوت والسلطة، حيث هاجم (ويكليف) البابوية، ونقد قولهم في عقيدة الاستحالة، وأنكر القول بتحول الخبز والخمر في العشاء الرباني، وأنكر أيضا ما يدعيه رجال الدين لأنفسهم من قوة روحانية خاصة، ودعا إلى عودة الكنيسة إلى ما جاء في كتابهم المقدس، أما (هس)

فقد تأثر بآراء (ويكليف)، وأضاف اليها، لذلك أدانته الكنيسة وحكمت عليه بالإحراق سنة 1415 وتم تنفيذ ذلك سنة 1415م، كما تم ادانة (ويكليف) وامر بحرق جسده الذي سبق دفنه منذ مدة طويلة. ثم ظهر بعد ذلك الانجليزيان (جون كوليت 1469-1519) و(توماس مور 1478-1535)، والألماني (ديسيد بروس ايرازموس 1469-1536)، وكانت لهم إسهامات في الإعداد لحركة الإصلاح البروتستانتي.

أما قادة الإصلاح البروتستانتي الذين كان دورهم كبيرا في ظهور هذه الحركة وانتشارها فهم: **مارتن لوثر، زوينجلي، كالفن**.

01/مارتن لوثر (1483-1546م): وصف بأنه الفلاح السكسوني الذي تدين له حركة الإصلاح الألماني بقيامها، ولد مارتن لوثر في 10 نوفمبر 1483م في ايزليبن وهي بلدة صغيرة في مقاطعة سكسونيا بألمانيا، درس القانون، وحصل على درجته الجامعية سنة 1504م، ثم حول مسار حياته ودخل الدير الأوغسطيني في ايرفورت ليصبح راهبا، وقد طبق الرهبنة بكل دقة، ثم عين مدرسا للفلسفة في مدرسة ويتنبرج سنة 1508م، واستمر في دراسته اللاهوتية التي أهلته لدراسة الكتاب المقدس.

وفي سنة 1510م اختير ليكون عضوا في وفد مرسل إلى روما، وصدم لما رآه هناك بسبب انهيار المعايير الأخلاقية لدى رجال الدين ومن بينهم البابوات، وانغماسهم في حياة البذخ والتبذل والملذات، وفي سنة 1512م منح درجة الدكتوراه في اللاهوت، وكرس وقته للتدريس والوعظ، وقد استطاع أن يجذب إليه الانتباه خاصة انه استطاع أن يكون لنفسه بعض الآراء التي يخالف بها الكنيسة، ثم سمحت له الفرصة لإظهار هذه الآراء وإعلانها بشكل حاسم، وذلك حينما جاء (تتزل) المكلف ببيع صكوك الغفران إلى ألمانيا، فكانت الحملة الخاصة ببيع صكوك الغفران بالقرب من (ويتنبرج) هي التي استفزت مارتن لوثر ليتخذ الخطوة الأولى تجاه الإصلاح، حيث تحرك لمهاجمة صكوك الغفران، وانتهز فرصة اجتماع الاهلين على عادتهم في كنيسة ويتنبرج في 31 أكتوبر سنة 1517م وعلق على باب الكنيسة احتجاجا يتضمن 95 بندا ضد صكوك الغفران، ودع مارتن لوثر لمناقشة كل من يريد من العلماء، وذاع أمر هذه الوثيقة وطبعت ووزعت في طول البلاد وعرضها وهكذا بدأ الإصلاح البروتستانتي.

هاجم لوثر سلطة البابا في غفران الذنوب، ودعا للعودة إلى الكتاب المقدس عندهم، مؤكدا انه المصدر الوحيد الذي يجب الاعتماد عليه في تفسير جميع المسائل الدينية، وقد بذلت محاولات لإلقاء القبض عليه وترحيله إلى روما، لكنها أخفقت بفضل مساندة (فريديريك) ناخب سكسونيا، الذي لم يقبل إطلاقا أن يحاكم أحد رعاياه في روما، وبدأ في اتخاذ عدة خطوات عملية لتنفيذ الإصلاح فوجه في سنة 1519م الدعوة إلى حكام الولايات الألمانية من الأمراء كي يتزعموا هذه الحركة الإصلاحية، ووضع في سنة 1520م ثلاث رسائل تسمى (الرسائل العظمى في حركة الإصلاح الديني)، فلم تجد الإدارة البابوية حلا لهذا سوى إصدار قرار الحرمان ل (لوثر) سنة 1520م، وفي سنة 1521 صدر قرار بطرد لوثر خارج القانون وإهدار دمه باعتباره يعرض أمن الدولة الداخلي والخارجي لأخطار فادحة، كما تضمن قرار حظر تداول كتب (لوثر) ومنع قراءة جميع كتاباته.

رغم كل ذلك ظلت الحركة اللوثرية، وأخذت طريقها إلى الذيوع والانتشار وأطلق على أنصار هذه الحركة لفظة (بروتستانت)، وهو الاسم الذي اشتهرت به حركة الإصلاح الديني.

أهم مبادئ لوثر:

-إخضاع رجال الدين للسلطة المدنية

-ليس للبابا الحق في احتكار تفسير الكتاب المقدس

-إباحة الزواج للقس، وقد تزوج لوثر سنة 1525م بإحدى الراهبات وتدعى "كاترين بورا"

-عدم إنشاء أديرة جديدة، وإلغاء عدد من الأديرة وتحويل نزلائها إلى الحياة المدنية، ثم أعلن إلغاء الديرية والرهبنة، وكان زواجه تطبيقا عمليا وتدعيما لهذا الإلغاء.

02/-أورليخ زوينجلي (1484-1531): كان يدور في ذهن "زوينجلي" حاجة الكنيسة إلى الإصلاح في نفس الوقت الذي انبثقت فيه الفكرة عند "لوثر".

سويسري الأصل، درس اللاهوت وألم بفلسفة القرون الوسطى، وحصل على درجة الباكالوريوس ودرجة الماجستير من جامعة (باسيل)، عين قسيسا مرافقا للجنود السويسريين الذين يحاربون في صفوف القوات البابوية، ثم عين واعظا في أينسيدلن، وترامت شهرته في الخطابة إلى مدينة زيورخ، وبرز اسمه منذ ذلك التاريخ بروزا واضحا قويا في الأوساط الدينية والسياسية والاجتماعية في المقاطعة وتبوأ مكانة عالية.

سرعان ما قاد حركة إصلاح ديني انتهت إلى نتيجة مهمة، وهي انشقاق مقاطعات بأسرها من مقاطعات الاتحاد السويسري على كنيسة روما، وانقسام سويسرا إلى فريقين: فريق بروتستانتي من أنصار "زوينجلي" وفريق كاثوليكي، وقامت الحرب بينهما وقتل "زوينجلي" في موقعة كابل سنة 1531م.

أهم مبادئ زوينجلي:

-أن الكتاب المقدس عندهم يجب أن يكون هو القائد والمعلم.

- وألح على زواج الاكليروس، وهاجم عزوبة رجال الدين وصكوك الغفران.

-أكد أنه لا أساس للسلطة الروحية التي يطلق عليها اسم (الكنيسة) في الكتاب المقدس وفي تعاليم المسيح

03/جون كالفن (1509-1564م): فرنسي الأصل، ولد في نويون بالقرب من باريس، سنة 1509م، حصل له والده على وظيفة كنسية أمدته بدخل سنوي، وقد أعده والده لدراسة القانون، فتعلم في باريس و أورليان وبورج، وأثناء ذلك اتجه كالفن إلى المسائل الدينية، وهي التي شغلت المفكرين في عصره، فدرس آراء المصلحين الألمان، وقرأ كتاباتهم وصار يميل إلى الكتابات الجديدة، واعتنق المذهب اللوثري واعتزل وظيفته الدينية في ماي 1534م، واضطر إلى مغادرة فرنسا لان ملكها فرانسوا الأول، كان قد أسرف في اضطهاد البروتستانت داخل فرنسا، وتنقل كالفن بين مدن بال في سويسرا، وفرار في ايطاليا، وستراسبورغ في أمانيا، واتخذ جنيف مقرا له، وظل مقيما بها منذ اواخر 1536م، حتى توفي.

يتفق كالفن مع لوثر و زوينجلي، في أهم المبادئ، وقد تفوق عليهما في انتشار آرائه، وذيوع صيته، وتأثيره القوي لدرجة أنه لقب ب(المصلح الدولي الوحيد)، حيث استطاع تنظيم وتعزيز جهد الإصلاح ليتسع انتشاره ويصل إلى ما وراء حدود جنيف وسويسرا نفسها، واستطاع أن يجعل من جنيف المدرسة الكبرى لعقيدة الإصلاح البروتستانتي.

إن الحركة الإصلاحية كانت إصلاحا للكنيسة لا إصلاحا للمسيحية كما يقول الدكتور احمد شلبي، والفرق بين الموضوعين كبير، بمعنى أن ما أثار لوثر ومن عاصره هو أفعال الكنيسة في ذلك العهد، وأما البحث في الأشياء المهمة التي دخلت على المسيحية فلم يكن موضوع إصلاح عند لوثر ومعاصريه، اذ لم يثوروا إلا على ما ابتدعته الكنيسة في عهدها الأخير.

-ثورة العقل الاوروبي على الدين المسيحي: ثار العقل الأوروبي على المسيحية وتمثلت هذه الثورة في صورتين هما:

-**الاولى: ثورة على الكنيسة** : حيث تفشى الفساد والانحلال في النظام الكنسي، وقد قاد هذا رجال الإصلاح البروتستانتي إلى الثورة على الكنيسة، حيث أفضت في النهاية إلى تحرير العقل الأوروبي من قيود العقيدة الدينية.

-الثانية: ثورة على المسيحية كدين يعوق الفكر ويقف عقبة أمام التقدم العلمي المستقل القائم على العقل والمنطق، واتخذت هذه الثورة تحرير العقل الأوروبي من القيود التي عطلت تفكيره وأوقفت نشاطه في العصور الوسطى. ففي العصور الوسطى كان الاوروبي يميل الى الانصياع للكنيسة، ويرضى عن الجهل الذي يجعل صاحبه اكثر استجابة لاوامر الدين المسيحي او السلطة البابوية، ويحصر المعرفة في اللاهوت لانها الطريق الوحيد في الخلاص. اما عصر النهضة فقد اختلف فيه الامر، اذ احتوته الثقة بالعقل، واستغرقه حب الاستطلاع الحر، واشتد كلفه بالعلم، ونبذ العقائد التي كانت سببا في التحكم فيه.

المحور الثالث: الفكر الاجتماعي في عصر النهضة

اتجه العقل خلال عصر النهضة في اتجاهين هما:

الاتجاه الأول: إحياء الروح القديم، وانطلق دعاة المذهب الإنساني، منذ القرن ال14 إلى غاية القرن ال16 إلى بعث ما عرف من آداب اليونان والرومان، مسترشدين بها في إخضاع الدنيا لصالح هذا الإنسان الجديد، فكانت فترة إعادة اكتشاف العلوم اليونانية.

كان رواد الفكر الجديد في عصر النهضة يعتقدون أن التراث العقلي اليوناني كفيل بتكوين الإنسان، ونزع هؤلاء إلى تعلم اليونانية حرصا منهم على ترجمة تراثها من منابعه إلى اللاتينية (لغة العلم في ذلك العصر في أوروبا)، وتكفل ظهور المذهب الإنساني وسيادة النزعة الفردية وهدم قيم العصور الوسطى، تكفل هذا كله باستقلال الفلسفة عن الدين وتوجيهها إلى معاداته في تلك المرحلة.

الاتجاه الثاني: الاهتمام بالطبيعة الحافلة بالحقائق ، ونزوعه إلى ارتياد المجهول من آفاق العلم الطبيعي، إذ انبعثت صيحة "روجر بيكون"، بالدعوة إلى التجربة والاختبار، واستجاب لها العلماء والفنانون، و أنشأت الجمعيات العلمية، ومهد هذا لنشأة العلوم الطبيعية مؤيدة بالمخترعات الحديثة، ومضى العقل في محاولة اكتشاف الجديد في شتى صوره.

يعتبر عصر النهضة مرحلة بدأ فيها الإنسان يتحرر من سلطة الكنيسة ليعتمد على قواه العقلية لتحقيق الكمال (فإذا كانت قيمة الفرد في العصور الوسطى تقوم على مدى اندماجه بالكنيسة والتحامه بالمجتمع، فقد أصبحت قيمته الآن تعتمد على مقدار ما يحققه من إمكانيات، وما ينجزه من أعمال، كل هذا ساعد على نشأة النزعة الفردية وعلى ازدهارها). وقد بلغ النزوع إلى التحرر وتقويض سلطة الكنيسة حدا أصبح فيه بعض رجال الدين أنفسهم يساهمون بشكل غير مباشر في تشجيع النزعة العلمية المتحررة، مثل ما فعل "نيقولاس الخامس"، أول بابا مناصر للفلسفة الإنسانية، حيث لم يتوان في منح بعض المناصب البابوية لعلماء كان يحترم تعاليمهم، وكانت البروتستانتية مظهرا من مظاهر ذلك التحرر، فأدت حركة الإصلاح الديني التي قادها "لوثر" و"كالفن" إلى إنشاء الكنائس المستقلة.

انه عصر انبعثت فيه الثقافة القديمة ثورة على العصر الوسيط أدبا وفلسفة وفنا ودينا، فحلت الطبيعة محل الله، وقامت فكرة إنسان الفطرة والطبيعة والدين الطبيعي، والأخلاق الطبيعية لتدفع إنسان الكنيسة ودينها وأخلاقها، وانكشفت هشاشة الصورة الوسيطية التي كونها الإنسان عن الكون.

لقد تشكل جو جديد بدأ فيه الإنسان يصنع مصير البشرية مجددا، فظهرت مذاهب وأفكار جديدة وقديمة تنزع إلى التحرر من كل ما ينتسب إلى القرون الوسطى.

كان القرن السادس عشر حافلا بالقوى الثورية الجديدة التي تغلبت على القوى التقليدية المحافظة، وفي الحقيقة إن في تاريخ القرن السادس عشر حداثة وتجديدا في أوروبا، وتتجلى مظاهر التجديد في أوروبا عصر النهضة بحوادث كبرى وتطورات عظيمة أشبه ما تكون بثورات، الثورة الفكرية والدينية والأخلاقية، والسياسية الجديدة والاقتصاد الجديد.